مصطلح اللّغة الشّعرية

المفهوم والخصائص

د.أحمد حاجـــي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

تتمثل اللغة الشعرية في شتى صور الانزياح، فهي خروج عن اللغة النمطية (المعياريـــة)، إذ تكتســـي طـــابع الشـــاعرية بالانزياحات التركيبية و الدلالية، فهي هدم اللغة و إعادة تشكيلها من جديد لتبرز بمختلف الصور الإيحائية و المجازية لتحقق التفرد و الخصوصية، فتخرج الألفاظ عن دلالاتها المعجمية لتتجلى فيها صور الإيحاء.

الكلمات المفتاحية: اللغة الشعرية، الانزياح، التركيب، الدلالة

Résumé :

La langue poétique se représente dans les différentes formes de l'écart dans la mesure où elle est un éclatement de la langue ordinaire (dogmatique) dans ses deux niveaux : syntaxique et sémantique.

Elle est en fait une destruction-reconstruction de la langue manifestant des figures connotatives et même métaphoriques, et ce, pour produire à la fois un effet de particularité et de singularité par rapport aux sens dictionnairiques.

Mots clés : la langue poétique, l'écart, la syntaxe, la sémantique

المقال :

اللغة وسيلة للتواصل بين الشاعر و القارئ ،تقوم على إظهار الجانب الإبداعي؛فالقصيدة بمضمونها تظهر فـــي شكل فني،تُوجد علاقات لغوية غير اعتيادية،تخرق النظام المألوف؛و هي صورة وجود الأمة بأفكارهـــا و معانيهـــا و حقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه،فهي قومية الفكر،تتحد بها الأمة في صور التفكير و أساليب أخذ المعنـــى من المادّة،و الدّقة في تركيب اللّغة على دقّة الملكات في أهلها،و عمقها هو عمق الروح و دليل الحس على ميل الأمـــة إلى التفكير و البحث عن الأسباب و العلل[1] ،و تتضافر القيم الشعورية و التعبيرية و الفكرية لتُشـــكل البعـــد الجمـــالي للنص،فلا يمكن فصل إحدى القيم عن الأخرى،لما لها من روابط وثيقة تحقّقُ للعمل الفني قصدهُ الذي أنشـــئ لأجلـــه؛و يرى محمد المبارك أنّ معرفة الخصائص اللغوية

و القيم التعبيرية للّغة لا تنفصل عن معرفة الدّوافع النّفسيّة،لأنها كشفٌ عن نوازع الإنسان الذي ينطـــق بهـــا،و كشف نوازع المخاطَب من قبل المخاطب هو أولى درجات الفهم و الاستيعاب ،و عليها يعتمدُ فهم الـــنّص و صـــياغة الاستجابة[2]،فالنّص رسالةٌ أدبية و نوعٌ من أنواع التّواصل بين الكاتب و القارئ ،إذ تشكّلُ اللّغة مـــادة الأســـلوب الـــذي يستمدّ الحياة و القوّة من طريقة استخدام المفردات المناسبة،و من السّرّ في ربط الكلمة الحيّة القويّة بأختها،حيثُ يتهيّـــأ من هذا المركّب طريقا في التّفكير ؛فاللّفظة هي الفكرة و هي الحياة الاجتماعية[3]،و يتركّز الاهتمام بالألفـــاظ فـــي دقّـــة معانيها و في التّراوح بين الدلالات الذّاتية و مختلف الدلالات الإيحائية.

و يستمدُّ النّصّ الأدبي وجوده من لقائه بالمتلقي،وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار عنصر التّقبّل جانبا مهمّـا فـي تذوّق النّصوص والوقوف على ما تشتمل عليه من جوانب فنية ،تدفع به إلى إعادة بناء الرؤيـة علـى حسـب طبعـه ونفسيته.

ويتوقف التلقي على التوصيل اللغوي القائم"...على مخاطِبٍ (هو مرسل يرسل الرسالة إلى المخاطب)والمستقبل للرسالة،وتستخدم الرسالة شفرة (هي عادة لغة يعرفها كل من المخاطِب والمخاطَب)،وللرسالة سياق (أو مشار إليه)،كما أنها تنتقل عبر اتّصال (أو وسيط كالكلام الحي)..."[4] ،فهناك عمليّة تواصل،تتحقّق غاياتها بفكّ شـفرات النّص،تحـدّدها مسألة الذوق "... ومعناها حصول ملكة البلاغة والبيان..."[5].

ويحسن التنبيه على أن عملية التّوصيل اللغوي لا تعتمد على المرسل والمرسل إليه والرسالة فحسب، بل تطرح مسألة الذوق،التي تحدث القدماء في أثناء كلامهم عن مراعاة مقتضى الحال .

وإن كان ابن قتيبة قد أخضع الشعر إلى الجودة،فإنّه لم يحفل بعامل الزمن [6]،فقد ارتكز في ذكر الشعراء والثناء عليهم على مسألة الذوق .

وحدّد أحمد الشايب بعض الوسائل التي تحقق التبليغ في :

1- استعمال الكلمات المألوفة،محدودة المعنى،ويتولّد عنها وضوح الأفكار وقوتها، واستقرارها في العقول،وتحاشي الألفاظ الغامضة والمشتركة والأجنبية .

2- استعمال الكلمات الوصفية:التي تفيد جمال الأسلوب وقوته معا،والكلمات الوصفية ،تلك التي تصور مشاهد تلفت النظر وتثير الإعجاب بتأثيرها في نفس الملتقي .

3- الاستعمال المجازي للكلمات الخارج عن العادة،فتؤدي بذلك معنى المبالغة المقبولة والإيجاز الطريف .

4- تحاشي الكلمات الضعيفة والعناصر غير المهمة في العبارات والتركيز على أركان الكلام الأساسيّة [7] :

ويمكن حصر ما أورده أحمد الشايب في ما يلي :

- الكلمات المألوفة الواضحة القوية
- الكلمات الوصفية وتفيد جمال الأسلوب
- الصورة المؤثرة التي تحقق المتعة والإعجاب .
- الاستعمال المجازي للكلمات وما يترتب عنه من :
- صورة المبالغة والإيجاز ،وتحقق متعة القارئ في البحث والتأمل والتخييل
- التركيز :ويترتب عنه عدم الخلط بين الموضوع الرئيسي والموضوع الثانوي .

والقيم الجمالية التي حصرها أحمد الشايب هي وسيلة المبدع إلـى نفـس المخاطـب ليحملـه علـى الانفعـال والتأثر،وهي تجربة إقناع:إقناع عاطفي وجداني دافعه التأثر،والإقناع الفكري بما يجمله رؤى وقيم مختلفة،وإقناع جمالي يحدّده مفهوم الجميل في ذاته "أي ما يتوفّر عليه النّصّ من جماليات فنّيّـة لا مـن وجهـة المقارنـة بـين نصـوص مختلفة،وإنما يكمن التمييز لتقدير الجمال على عملية الصياغة والملكة اللغوية .

فالتشكيل الجمالي في العمل الأدبي عنصر جوهري يتوقف عليه نجاح المبدع أو إخفاقه في نقل التجربة،ذلك أن قيمة الأدب لا يحددها المحتوى فحسب،بل للجانب الجمالي فيه أهميته أيضا [8]،وتقدر قيمته بمراعاة حالة الملتقي ،ومن ثَمَّ يثار هذا الملتقي كلما كان تأليف العبارات مناسبا ،على أنه يلحُّ على أن يكون السّموّ Subline أعظم المناقب الأدبيـة ،بل أقدرها على إحداث هزة الانتشاء Ekstasis في النفوس[9] ،فالعمل الأدبي تطابق بـين الشـعور والتعبيـر ،ونخص بالتطابق تلك الأعمال التي تخضع للتجارب المستوحاة من الواقع أو تجاوزه إلى المابعد ،فتكون الحالات النفسـية ومـا تنطوي عملية من انفعالات ومشاعر ضمن شفرات الخطاب .

ويرى سيد قطب أن العمل الأدبي وحدة مؤلفة بين الشعور والتعبير ،وهي وحدة ذات مرحلتين متعـــاقبتين فـــي الوجود بالقياس الشعري،ولكنهما بالقياس الأدبي متّحدتان في ظرف الوجود[10]،ويتّضح أن التجربة الشـــعورية مرحلـــة أسبق في النفس،ويليها التعبير في صورة لفظية [11] ،ويرى أيضا أنّـــه لا وجود للتجربة الشعرية في العالم الأدبي،قبل أن يعتبر عنها في صورة لفظية،ونؤكّد بسبق التجربة الانفعالية(القيمة الشعورية)،ذلك أن أي عمل لا يمكن وجـــوده دون تأثر بالعالم الخارجي وتليها مرحلة التطابق ،ونعني بها الاختيار المتاح بين مدّخر هائل من الإمكانات للتعبير بناء على الحالة الشّعورية ،ومن ثَمَّ تتحكّم الكتابة النفسية في هذه الاختيارات والبدائل الممكنة في بناءٍ تحكمه الرؤية الغائية فـــي الإمتاع أو الإقناع ،كما تحكمه الرّويّة أو التّصوّر الموسيقي ــ بخاصة في النص الشعري ــ الذي يتيحُ للأديب استبدال بعض الألفاظ بأخرى من مرادفاتها لتوافُقها مع وزن معين،"فالعنصر الشخصي أساس هامٌّ في عملية الإبداع الفني،وهو كذلك أساس هامٌّ في عملية النقد الأدبي،إذ لا مفرَّ من الاحتكام إلى الذوق،لأنه الوسيلة الوحيدة التي تمكِّننا من الإحساس بالمؤلفات الأدبية،وإدراك ما فيها، فنحن ... في مجال يُدْرَكُ بالحسّ والذّوق،ولسنا في مجال ما يدرك بالعقل وحـــده..." [12].

وقد تحدّدت خصائص نظرة التذوُّق الشّعري في القصيدة العربية الكلاسيكية من ظلال ما أثيرت من قضايا نقدية يمكن حصرها في ما يلي :

1- غلبة النّزعة التّقريريّة والحسّيّة المباشرة في تفسير الجمال والجميل

2- الاحتفاء بالمعاني الجزئية وإحصائها وإقامة المشابهة بينهما .

3- غلبة الموسيقى

4- استخدام الصور الجزئية التي تتداخل في النّسج وعدم استقلالها بنفسها ، ولا تحدث بناء خياليا كبيرا خالصـــا .

5- الوضوح والسّهولة:لأن الشّاعر يستخدم لغة محددة ومنطقية ، ويظهـــر التمييـــز عـــن لغـــة النثـــر فـــي الأوزان العروضية[13] ،وما تتوفر عليه من قافية وروي بصرف النّظر عن الشّعر المنثور .

وحصر الآمدي جودة الشعر في البلاغة وما تتضمّنه من الإصابة في المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة سليمة [14] ،كما يرى جون كوين أن الشعر قوة ثانية للغة ، وطاقة سحر وافتتان وموضوع الشعرية هـــو الكشـــف عـــن أسرارها [15] ، والبحث عما يحقق هذا التميز والانفراد في لغة الخطاب حين يسلك الشاعر فيها مسلكا خاصا ليستطيع أن يؤدي معان بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول[16] .

وللشاعر القدرة على تكثيف هذه اللغة ومدّها بما يحقّق جمالياتها، ويراد بالكثافة تحميل اللغة شحنات من الفكـــر والعاطفة واستخدام الصور والتدفق الشعوري .

ويتضح مما سبق أن التبليغ هو غرض اللغة دائما ،إذ أن ..."اللّغة ليست إلا وسيلة نقل الفكر،فهي الوسيلة وهو الغاية،وليس هناك على الإطلاق تأكيد مسبق بأن هذه الغاية لا يمكن التوصل إليها بطريقة مماثلة،أو ربما بطريقة أفضل من خلال وسائل أخرى..." [17]،وبين الوسيلة والغاية يظهر التميّز والمفاجأة:تميّز لغة الخطاب الأدبي ــ الشّعري بخاصة ــ بالمقومات والخصائص الأسلوبية التي تُخرجُه من النّظام المألوف، والمفاجأة في الخروج من نمطية اللغة،حيث تكون مفاجأة وعي المتلقي باللاّمتوقع،وحيث تكون بساطة الألفاظ وتجاوز الواقع بطرح اللاّمنتظر،والاحتفاء بالصور المجازية وجعلها أسسا رئيسة وأهم مقوّمات الخطاب.

لعلّ دراسة مستفيضة للشعر العربي القديم تؤكّد التّفاضل بين الشّعراء،ولذلك ذهب النقاد القدماء إلى تقديم شاعر على آخر،أو تفضيل بيت شعري عن غيره في القصيدة نفسها،بما وقفوا عليه من خصائص فنية تحقّق الانفرادية حيـــث تتجسّدُ "الشعرية "،وتستمدُّ ملامحها من النّظام الشّعري،وتستعير عناصرها أيضا قدر الإمكـــان،وتهتم بجـــرس الكلمـــة للتعبير عن الإحساس والجو العام [18]،والبحث عن قوانين الإبداع وإن كانت هناك بعض الخلافات حول تحديد مصـــطلح

"الشعرية" إذ يرى سعيد علوش ترجمة Poetics إلى "الشاعرية" ويعطيها دلالات (علم نظرية الأدب)، أما "جون كوهن" فيكتفي بتحديد المعنى التقليدي لـــ (الشاعرية ، كعلم موضوعه الشعر) ، كما تعرف الشاعرية كنظرية عامة للأعمـــال الأدبية [19] ، فالشعرية ــ في نظره ــ تتضمّن المفارقة وتقوم على الهدم ثمّ البناء:هدم المعاني المألوفة التي تجسّدها اللّغة النّمطيّة ثم إعادة تشكيل النّص وجمع الأضداد ورسم الصّور الشّعرية ، وتكون اللّغة المحور الأساســي الــذي يتجسـد النص والمحيط الذي يضم متعلّقات الفكر والعاطفة ، وقد قسّم الفارابي – اللّغة – إلى قسمين: اللغة النمطية وهي لغـــة البرهان والعلم،واللّغة التّجاوزيـــة وهي لغة الخطابة أولا ثم الشّعر [20] ،على أننا نلمــس بعــض التّــداخل فـــي هــذا المفهوم،ذلك أن اللّغة النّمطيّة،قد تخصّ أيضا الخطابة لاعتمادها على الحجج والبراهين،كما أنها تكون تجاوزيّـــة فـــي أحايين كثيرة إذا تضمّنت أشكال المجاز ،وهناك من الشعر ما يكون ضمن اللّغة النّمطية كالشّعر التّعليمي،فاللّغة الشّعريّة ذات ميزة خاصة،تثير فيها الكلمات الألوان والظّلال في جوّ مفعم بالجمالية والإبداع،وتكمن خصوصيتها في مغايرتهـــا الكلام المألوف،واتّخاذها الانزياح سمةً من سمات الهدم والبناء، فتبتعد عن التعقيد والألغاز؛كما أنها تفجّر نمطية اللغـــة العادية وتحرّف نظامها القديم وتنتقل بها من لغة قاموسية إلى لغـــة يعاد تشكيلها من جديد وفق رؤية الكاتب بعيدا عـــن التقريرية الجافـــة [21] ،فهي في نظر جون كوهين "...تحطّم البنية القائمة على التّقابــل،والتي تعمــل داخلهـــا الدلالـــة اللغوية،إنّها تطلق سراح المعنى من الصّلات الدّاخليّة التي تربطه بنقيضه، وهي الصّلات التي يتشكّل منهـــا مســـتوى اللّغة،والتي تجسّد مستوى اللاّشعريّة في الخطاب..." [22] ،فهو الخروج عن المألوف وعن العبارات الجاهزة لتدخل اللغة مجال المفارقة، كما أنها – في نظر كوهن – تستعير شاعريتها من العالم الذي تصفه[23] .

وتتميّزُ لغة الشعر بكونها لغة متخصصة،تسمو على اللّغة الاعتياديّة المألوفة،فهناك فروق جوهريّة بين لغة النّثر ولغة الشّعر؛و تحدّد اللّغة شخصيّة الشّعر والأصوات التي يتبنّاها الشّاعر.

و يختلف الشّعر عن غيره من التّعابير وذلك في قدرته علـــى خلــق ســياقه الخـــاص بـــه للتّحـــدث مـــع أي صوت،فالشعر يستطيع انتقاء ألفاظه من أي أسلوب لغوي،سواءً أكان أدبياً أم غير ذلـــك،وحين تُســتعملُ الألفـــاظ فـــي القصيدة/ الشعر فإنها تُستعمل لتحديد المواقف أو بعض وجهات النظر أكثر من استعمال تلك الألفاظ في اللغة اليومية،أي أنها في اللغة الشعرية أكثر دقة وتحديداً [24]،فالشعر تعبير لغوي عن حالة شعوريـــة وجدانية و تجربة ذاتيـــة بأســـلوب أدبي راقٍ،يحفل بالصور الفنّيّة و الظّلال و الألوان،و يؤثّر باللفظ و المعنى في النّفس و يأسر القلب؛فالشّعر مجموعـــة العلاقات القائمة بين الألفاظ و معانيها و طريقة السّبك للعبارة الشّعريّة،و تختلف اللغة عند الشّاعر الواحـــد بـــاختلاف تجاربه الشّعرية لأنّها تعبير عن عمليّات معقّدة وأفكار متباينة تختلف باختلاف الزّمان و المكان و طبيعة الموضوع [25] .

و اللّغة الشّعريّة مصطلحٌ شامل ينطوي على بناء الجملة نحويّاً وصوتيّاً،ينطوي على التقنيات الفنية المتعدّدة من الصّور الشّعرية والموسيقى،ولغة الشّاعر المبدع لغة ذات حياة و تنوّع لا تقف عند طريقة واحدة من طرق التّعبير،بل تنوّعٍ في العبارة و في الأسلوب،و اللّغة المبدعة هي اللّغة التي تثيرُ فينا إحساسا بلذّة المشاركة في العمل الفنّـــي مـــن خلال الحذف و التّقديم و التّأخير و التّلوين في العبارة و الضّمائر،و الإيجاز و الفصل بين أركان الجملة مما يُثير فـــي المتلقّي متعة فنّيّة تكمن في لذّة الاكتشاف[26]،وتستمدّ اللّغة الشّعريّة نسقها من التّشكيلات اللّغويّة،لأنّها لغة إبداعية،واللّغـــة الإبداعيّة من طبيعتها الانزياح،لذلك يمكن القول:"إن الشّاعر خالق كلمات وليس خالق أفكار،وترجع عبقريته كلها إلـــى الإبداع اللّغويّ" [27]،فيُضفي الشاعر على تراكيبه اللّغويّة شفافية وإيحاء خاصاً؛ويقول كمال أبو ديب: "إن مسافة التـــوتّر هي منبع الشعرية"[28]،وهو بذلك يؤكّد المسافة أو الفجوة بين اللّغة الشّعريّة واللّغة اليوميّة،إذ يؤكّد أن التّشـــكيل اللّغـــويّ الخاص بالشّعر يجب أن يخلق فجوة = مسافة توتر؛ هذه المسافة أو الفجوة هي التي تميِّـــز التّراكيـــب الشّـــعرية مـــن النّثرية،وهذا ما يؤكّده كوهن في سياق حديثه عن الصورة الفنية: "أقوى الصور بالنسبة لي هي تلك التي تقدّم أكبر قدر من العشوائية"[29]،بمعنى أدق:أكبر قدر من الانزياحات والفجوات.

وقد ذهب النقاد إلى اعتبار الشعر "استكشافا دائما لعالم الكلمة واستكشافا دائما للوجود،عن طريق الكلمة،والشاعر يتعامل مع ذاته ومع الوجود من خلال اللغة،وأسلوب تعامله معها يعبر عن مدى مقدرته على الخلق واشتقاق أبعاد جديدة للألفاظ والتراكيب معا...ومن ثم فإن الشعر هو الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة على السواء،والشعر الـذي لا يحقّق هذه الغاية الحيوية لا يمكن أن يسمى شعرا بـحق"[30].

وتعتمد لغة الشّعر الرفيع على تحرير طاقاتها الصّوتية و التّعبيرية، و توجيهها توجيها جماليّا،يُفاجئ المتلقّـي و يهزّ مشاعره و يستثيرُ حساسيتهُ،و يتسلّط على خياله،و عندئذٍ تصبح الكلمات غير مقيّدة [31] "...بقيود المعاني المتوارثـة و السّياقات التي تعاقبت عليها حتّى قيّدت حركتها،وبهذا تُصبحُ الكلمة في التّجربة الجمالية حرّة...على يدي المبـدع و يُرسلها صوب المتلقّي،لا ليقيّدها...مرّة أخرى بتصورٍ مجتلب من بطون المعاجم...،فيُسهم في قتلها و إفساد جماليّتها ،و إنّما للتّفاعل معها بفتح أبواب خياله لها لتُحدِثَ في نفسه أثرها الجمالي... "[32].

و لهذا يمكن القول : إنّ اللغة الشعرية هي لغة وصفية تنطبق مع وظيفة الشعر وبعده الجمالي،فالشعر لا يقـدّم حلولا وإنّما يترك ذلك للقارئ،في إعادة بناء الأفكار واتخاذ الحلول المناسبة،أو في الإقناع والإمتاع على حـدٍّ سـواء . ويرى.إبراهيم خليل أن المشكلات التي تواجهنا في دراسة اللغة الشعرية تتمثل في كثافـة المجاز،ولاسـيما الاسـتعارة والكناية،وكلاهما يؤثّر في دلالة النّصّ،ذلك أنّ الاستعارة تعمّق المعنى عبر محور الاستبدال،وهو اختيار الشيء لوضعه في موضع شيء آخر،أما الكناية تعمّق المعنى عبر خط المجاورة،ويؤثّر محور الاستبدال والمجاورة تأثيرا كبيـرا فـي البعد الدّلالي للنص[33] ،وعلى هذا التأثير في دلالة النص،يمكن اعتبار أشكال المجاز ركائز رئيسة تساهم فـي انبعـاث وفتنة اللغة الشعرية،فهي اللغة التي تسعى إلى البحث عن المختلف .

على أن "كايزر" يرى أن القوة التصويرية للغة الشعرية تتبلور بواسطة التراكيب النحوية بالدرجـة الأولـى [34] ،وبهذا فقد تجاهل الجوانب البيانية في دورها في الانزياح، وحصر القوة في لغة الصورة "،فالتعبير بالصور لا يمكن أن تنفرد به التراكيب فحسب،بل تتجاوزه إلى الصور البيانية والموسيقية للنص .

وتضم اللغة الشعرية أبعادا خمسة تتمثل في موضوع الحديث أي الشيء الـذي نتحـدث عنه،ويسـميه(شـارل موريس)،(charles Maris)البعد السيمانطيقي(Semantic dimention)، والأطراف أي المتكلّم أو المخاطب،والعمليّة الكلامية المتمثّلة في اللّغة التي ترسل بها الرّسالة، والصياغة الشعرية،وهي اللغة التي تصاغ بها الرسالة،والرّسالة فـي حد ذاتها،والمقصود بها الشّكل أو الصيغة التي تقدم موضوع الحديث أو المضمون،وهي بذلك تخالف المألوف من الكلام [35].

فهذه الأبعاد الخمسة تتراوح بين دراسة الجانب النفسي للشاعر(المرسل)،والنص والمتلقي دون فصل أي طرف منها .

على أن إيفانوكس لا يعتدّ بالمرسل والمتلقي،وينصب اهتمامه – في اللّغة الشعرية –على الرسالة (الشكل)علـى أي عامل آخر،فالكلمة في اللغة الشعرية خاصة ليست مجرد إحلال للشيء المتعيّن،وليست تفجيرا لعاطفة ما؛فالكلمة – الرسالة – في اللغة الشعرية ينظر إليها بصفتها كلمة في شكلها نفسه،وفي وضـعها الصـوتي والنحـوي والصـرفي والمعجمي[36] ،فإذا كان الاهتمام بالكلمة داخل النّص،كيف نتوصل إلى التفريق بين الاعتيادي والمختلف ؟ .

إن أهم ما يراعى في جمالية اللغة الشعرية اللاّمنتظر أو المفاجئ،فالكلمة خارج النص تحمل دلالات ذاتيـة،وفي النص تحمل دلالات إيحائية،تختلف باختلاف إيديولوجية الشاعر وطبعه ونفسيته،فما أضفاه الشاعر من نفسـيته علـى الكلمات يُكسِبُها جمالية التأثير داخل التركيب الشعري،تتزاحم الصور وفق حالات التصاعد أو التنازل،إذ أنّنا نتبيّن قـوة الخطاب في الاستهلال بالنداء مثلا،علاوة على الاستخدام المفرط للأصوات القويّة،كما نتبيّن الهدوء والسكينة في مرحلة

التنازل في حركة الخطاب عندما تُستخدم حروف الهمس،وعلى هذا التراوح بين الحالتين تكمن الارتباط بين الحالات النفسية والجوانب اللغوية .

ويبدو أن السّؤال عن اللّغة الشعرية وغير الشّعرية ليس جديدا،وقد حاول كثيرون الإجابة عنه مؤكّدين أن النظم الذي تعتمد عليه اللغة الشعرية في تعبيرها عن المعنى نظم مغاير مختلف،يجعل من اكتناهه مهمة لا يضطلع عليه أي فروع علوم اللسان،وقد ألحّوا على أن الفارق بين لغة الشعر وغيرها،يتمثل في أن العلاقات المنطقية أو السببية،والتي تُمكّن من الإفصاح عن معناه في اللغة العادية،تختفي إلى حد ما – في لغة الشعر،بحيث يتّسعُ هذا الشعر لمزيد من الإزاحات أو الانحرافات الدلالية Deviation،وإذا أمكن أن تُدْرَسَ اللغة النثرية وفق النظام المعمول به في دراسة المستويات المختلفة للسان،فليس ذلك بممكنٍ في اللغة الشعرية[37] ،تتجلى فيه أثر الذات المبدعة التي لا تكتفي بالاستخدام اللغوي بل تتجاوزه إلى خلق نظامها الخالص .

ونتيجة الظروف الحضارية والاجتماعية،وانتقال العرب من البادية إلى الحاضرة، فقد تفاوتت اللغة الشعرية وتوزعت بين أربعة تيّارات رئيسية :

1- تيّار الجزالة والفحولة وقوة الجرس،وهو ما توفّرَ في القصيدة العربية القديمة،ويتجلى في بعض موضوعات شعر القرن الثاني الهجري،والتي تنزع إلى الالتزام ببدوية اللغة الشعرية .

2- تيار السهولة : ويتجلى في سهولة اللغة ورشاقتها والاقتراب من عواطف الناس،والميل إلى البساطة والسهولة،ليفهمها سواد الناس وبخاصة العناصر غير العربية،ومهّد لهذا التيار مسلم بن يزيد ثم أبو نواس وأبو العتاهية في مجونهما وزهدها،واتّسمت هذه النزعة باستخدام الألفاظ العامية والمبتذلة .

3- تيّار المتانة والسلاسة:وهو مزيج تيّار الجزالة والفحولة وتيار السهولة،آخذا من التيّار الأول المتانة من غير إعراب،ومن الآخر السهولة من غير ابتذال،وبهذا تجتمع فخامة الأسلوب وسلامة العبارة وقوة الجرس،ويُدعى هذا النمط بالأسلوب المولّد الذي يغلب على أشعار المجدّدين في الصياغة التعبيرية .

4- تيّار لغة البديع:وهو النمط الذي يتوفّر على التّعقيد في اللغة الشعرية،وقدرتها على اختزال التّجربة الشّعرية في السّرد المباشر،معبّرة عن فكر متشكل مستقر،وينفي القوالب الجاهزة، دقيقة التحديد في اللغة الشعرية،وينحصر دورها في اتّساع المعنى وإيصاله للقارئ [38] .

وتتجلّى هذه اللغة عند بشار وأبي نواس وترقى إلى مرحلة النّضج عند أبي تمام، وتؤسّس لغة الإدهاش في فرديتها المتجدّدة حين تتجاوز القواعد الموروثة،لتفتح باب التأويل في النص،فاللغة الشعرية تتميز بالخصائص الدّلالية التي يساهم الجانب التركيبي في كثافتها.

ويرى كايزر أنّها تتّسم بالطّاقة التّصويريّة خلافا للّغة البلاغية،فهي لا تُقدّم آراء ولا تفسيرات تتعلّق ببعض المشكلات،وإنّما تثير عالما ممتلئا شيئيا [39] ،فهي بذلك تَخلقُ أشياء مجسّدة،وتستعمل كل الوسائل اللغوية التي تتيحُ لها تشكيلها الجمالي،إذا تتجلى ثروتها الدلالية ورهافة التعبير،وشفافة اللفظة،وبوجود هذه الخصائص "... يمكن أن تحتضن تجربة الشّاعر الرّاعشة النابضة التي تأبى بدورها القيود الصّلدة المتحجرة،وتكون قادرة على إيصال التجارب الشعورية إلى المتلقي،وخلق حالة من التقارب بين الشاعر والقارئ ... " [40] ،فلا يمكن لها أن تعرف الرّتابة والتقليد،بل هي لغةٌ تكشف عن الروابط الوثيقة بين الشاعر والقارئ،فهي لغةُ تماسك وتنافر .

ويكمن جمال هذه اللغة في نظام المفردات وعلاقاتها،وهو نظام لا يتحكّم فيه النحو،بل الانفعال والتجربة أيضا[41]،إذ يعكسان الوعي اليومي ويُؤسّسان رؤية مغايرة خلافا للواقع .

وتختلف اللّغة الشّعريّة عن لغة النّثر كون الشّعر يتميّز بنسق خاص،ومن الإجحاف أن نعتبر الشّعر الكلام الموزون المقفى،فهناك من النّثر ما كان بهذه الخاصية،ولكن نقصد الشعر الخاضع للأوزان الخليلية،فهي تمتاز بنظام

معين يبدو فيها الفرق جليّا بين النثر والشعر،إذ تتوفر فيها القافية للتّفريق بينه وبين المؤلف الموزون الـذي لا قـوافيَ له،والدّالُّ على معنًى للاحتراز من المؤلَّف بالقوافي الموزون للذي لا يدلُّ على معنى [42].

ويتجلّى الفرق أيضا بين اللغة الشعرية واللغة المعيارية في كون الانتهاك والانحراف(الانزياح) أهم ميـزة فـي اللغة الشعرية،وتقاس جماليتها بمدى انحرافها عن اللغة المعيارية،أي انتهاك مجموعـة القواعـد النحويـة والصـرفية والتركيبية المتعارف عليها[43]، فاللغة المعياريّة تكتسي بطابع برهاني يعتمد على العلم والمنطق،يتحدّد فيها المعنـى مـع الكلمة دون إيحاء أو رمز ؛و يعتمد القانون الذي يحكمها على التجربة الخارجيّة،لكن قانون اللّغة الشّعرية يعتمد علـى التّجربة الداخلية ، إنه يلخص مثلّث التّقابل والتّعـارض والكيف كما يعكس حساسيّتنا[(44)]،فلغـة الشّعر هي لغة الوجدان و العواطف،تساهمُ في إثراء المعجم الشّعري بتوظيف الألفاظ الموحية،و إعطائها دلالات إيحائية علة مسـتوى الـنّصّ الشّعري.

خصائص اللّغة الشعرية: تتمثّل خصائص اللّغة الشعرية في مجموعة من الميزات ،تنفرد بها و تميّزها عن لغة النثر،و تتحصر هذه الخصائص في ما يلي:

الاختلاف و المفارقة: و يتجلى الاختلاف في رصد العلاقات المتباينة في الخطاب و جعل الألفة بينها،و يتضـمّن هـذا الاختلاف البعد عن التّقليد و الرتابة،فيقوم الشعر بتنظيم الألفاظ و تنسيقها بطرائق تبعث على الدهشة و الافتتـان ،لمـا تُحدثُه من مفارقة و انزياح،و بما تتضمّنه من انفعالات و مشاعر تدفع بالقارئ إلى الاحتماء بألفتها و مجازيتها،ذلك أن للغة الشعر القدرة على الإيحاء بما لا تستطيع اللغة العادية أن تتوصّلَ إليه: (فالأدب يوجد بقدر ما ينجح في قول مـا لا تستطيع اللغة العادية أن تقوله، ولو كان يعني ما تعنيه اللغة العادية لم يكن مبرر لوجوده)[45] .

و بقدر ما يتحقق هذا الاختلاف بقدر ما تكتسب اللّغة الشّعريّة جوانب فنية ترقى بها إلى درجة الإبداع الحقيقـي المتميّز الذي يلقى القبول لدى المتلقّي،أما المفارقة فهي الخروج عن نمطيـة اللغـة،و التمرّد على القيـود و القواعـد اللغوية و التراكيب الجاهزة،و اللجوء إلى أشكال الانزياح،حيث تكتسب اللغة حلّةً جديدة بما تحقّقه من دلالات.

1) **الإيحائيـــة:** تتمثّل وظيفة اللغة في الإيحاء ،ممّا يحقّق وظيفتها الشعريّة،فهي تعبّر عن الوجـدان ،و تسـعى إلـى الكشف عن معان جديدة،و تتحقّق الإيحائية في الابتعاد عن الدلالات المعجمية،ذلك أنّ لغة الشّعر تتميّـز بالتّـداعي الوجداني؛فاللغة الشّعرية تتضمّن معارف وجدانية و ليست معارف ذهنية،و هي ــ بهذه التّجليـات ــ تفـتح آفاقـا واسعة و تستثمرها في صور وجدانية،،إذ تمثّل دوافع التّداعي جانبا مهمّا في ارتفاع النبرات الانفعالية و ما تنطوي عليه من التّوتّر و القلق،فالإيحاء ينقل النص من صيغة التقريرية إلى أفق الشاعرية، فيتجاوز التواصل المباشر،فينفذ إلى ذات القارئ ،و يفتح مجالا أرحب لاستنطاق الجوانب الخفية للإبداع،و الأبعاد الجمالية للنتاج الأدبي ؛ فاللغـة في الشّعر تتجانس مع مناخ القصيدة ومضمونها ،و هي إشاريّة تعتمد على والرمز والإيماء والإيحاء، فهـي بهـذا تختلف عن لغة النثر التي تتميز بالنمطية والشفافية والوضوح.

2) **الارتباط:** تكتسي اللغة طابعا اجتماعيا ،فهي أداة التواصل و نقل الأفكـار، و تعـود خصوصـيتها فـي ارتباطهـا بالشّعر،فاللّغة – عند الشّاعر– تُصبح لغة شعرية عندما تخضع للتّجربة،و يتحقّق فيها الإيحاء و الاختلاف و البعـد عن التّقريريّة و التّقليد .

3) **النسيج الإيقاعي:** يمثّل النسيج الإيقاعي عنصرا رئيسا في الشّعر،و قد عدّه القدماء من أهمّ أركانه،و يتجاوز المظهر الخارجي المتمثّل في الوزن و القافية إلى النّسيج الإيقاعي الدّاخلي،حيث تتردد الأصوات و الحروف و تتآلف الكلمات فيما بينها،فيشكّلُ الإيقاع صوت الشاعر و يعبّر عن أفكاره و وجدانه و مواقفه،فيستدعي ذلك استخدام البحور الطويلة أو القصيرة حسب الحالة النّفسيّة.

4) **التّصوير:** تشمل الصورة الشعرية مجموعة من الكنايات والاستعارات والتشبيهات،فيكوّن الشاعر بها أبعادا جمالية ،تشدّ القارئ إليها و تثير فيه دوافع القراءة الجديدة،للربط بين الصّور أو إيجاد مسوّغات في كيفية ترابط هذه الصور،أو في العلاقات النّاتجة عن دلالات الترابط بين الوجدان و المواقف من جهة،و طرق تقديم الصور من جهة أخرى؛فالصور هي نوع من أنواع الانزياح،تدفع بالنص إلى البروز بشكل يبعث الفكر على التّأمّل و الاستقصاء؛فاللغة الشعرية غير اللغة العادية، إذ أنّها تكشف بالاستعمال الشعري عن درجة من التصوير والقوة والتنظيم يجعلها متفردة عن سواها.

5) **خصوصيّة التّركيب:** اللّغة الشّعريّة لغة انزياحيّة،تُخرج الألفاظ من معانيها المعجمية،و تبعث فيها دلالات خاصّة تمنح الكلام سمة التّميّز،و يرى عدنان بن ذريل أنّ اللّغة العادية تتحوّل في الشّعر إلى لغة غريبة،و يتّضح ذلك من خلال الأدوات الشّكلية كالقافية والإيقاع و التّراكيب[46]،فيظهر التّميّز في الخطاب حيث الحذف و الذكر و التّقديم و التّأخير،و غير ذلك من الظواهر الأسلوبية التي تحقّق خصوصية اللغة الشّعريّة،فيتّسم التّركيب في الشّعر بالصّياغة المخصوصة،والإيقاع الموسيقي، والانتظام في الألفاظ و التآلف في الأصوات والدّلالات،فيكون بوسع المتلقي إدراك المناحي الجمالية ،و تساهم هذه الخصوصية في إضفاء جمالية الشعر، مما تميّزُه عن لغة الخطاب العادي .

الهوامش

[1] ـــ ينظر :وحي القلم،مصطفى صادق الرافعي،تقديم باني عميري،موفم للنّشر،الجزائر،دط،1991: 08/03.

[2] ـــ ينظر:استقبال النّص عند العرب،محمد المبارك،المؤسسة العربية للدّراسات و النّشر،بيروت،ط01، 1999، ص 63.

[3] ـــ ينظر لغة الشعر بين جيلين،د.إبراهيم السامرائي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط2، 1980،ص 38 .

[4] ـــ النظرية الأدبية المعاصرة،رامان سلدن،ترجمة جابر عصفور،دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة،(دط)،(دت)،ص 20.

[5] ـــ المقدمة،عبد الرحمن بن خلدون،دار العودة،بيروت،(دط) ،1981 ،ص 466.

[6] ـــ ينظر : الشعر والشعراء ، دار صادر ، ليدن (دط) ، 1902 ،ص 06 .

[7] ـــ الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1966،ص195-196.

[8] ـــ دراسات في النقد الأدبي،من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ،د/عبد القادر هني،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(دط)، 1995 ،ص 95 .

[9] ينظر ـــ Classiel literary critism. penguim books London., 1995 p165-166 .

[10] ـــ النقد الأدبي،أصوله ومناهجه،سيد قطب،دار الفكر،سوريا،(دط)،(دت)،ص 19 .

[11] ـــ المرجع نفسه ،ص19.

[12] ـــ ينظر:الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد،محمد زكي العشماوي،دار النهضة العربية،بيروت(دط)،1983،ص 19 .

[13] ـــ ينظر:لغة الشعر العربي الحديث،مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية،د/سعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية،القاهرة،(دط)،(دت) ص 23 .

[14] ـــ ينظر:الموازنة ،ابن بشر الآمدي،تحقيق محي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة،القاهرة،دط،1959،ص380 .

[15] ـــ النظرية الشعرية – بناء اللغة العليا ، ترجمة وتقديم أحمد درويش:259/02

[16] ـــ لغة الشعر بين جيلين،د.إبراهيم السامرائي ، ص 10 .

[17] ـــ النظرية الشعرية، جون كوين-ص56-57

[18] ـــ الشعرية ، محمد أحمد القضاة ، مجلة المنهل ، العدد 530 ، المجلة : 57 ، الرياض ، السعودية شوال – ذو القعدة 1416 هـ ، فبراير- مارس 1996 ص 66 .

[19] ــ ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د.سعيد علوش ص 74 نقلا عن : مفاهيم الشعرية ، دراسة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1 ، 1994 ، ص 14 .

[20]ــ ينظر في الشعر أرسطوطاليس، نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي (328هـ)من السرياني إلى العربي،تحقيق و ترجمة،د.محمد شكري عياد،دار الكتاب العربي،القاهرة ،ط1، 1967،ص198.

[21]ــ ينظر الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث،قضاياه المعنوية والفنية،محمد كناي، رسالة ماجستير،معهد اللغة والأدب العربي،جامعة الجزائر، 1993-1994، ص271.

[22] ــ النظرية الشعرية ،جون كوين: 369/02.

[23]ــ المرجع نفسه : 283/02.

[24] ــ قاموس المصطلحات النقدية الحديثة (باللغة الإنكليزية)، تحرير، روجر، فاولر، لندن، 1978، ص49، 50.

[25] ــ ابن مقبل حياته و شعره،عبد الأمير نعمة عبد،رسالة ماجستير،جامعة البصرة،1405هـ،1985م،ص238.

[26] ــ المرجع نفسه،ص 239ــ240 .

[27] ــ بنية اللغة الشعرية، جان كوهن ــ تر:محمد الولي،ومحمد العمري،دار توبقال للنشر،ط1 ،1986ص 40.

[28] ــ المرجع نفسه ،ص136.

[29] ــ بناء لغة الشعر،جان كوهن تر: أحمد درويش، دار المعارف مصر،ط1993،3،ص227.

[30] ــ الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،د.عز الدين إسماعيل،دار العودة،بيروت،ط 1981،3،ص174.

[31] ــ البعد الوطني و القومي و الإسلامي في ديوان التراويح و أغاني الخيّام لأحمد الطيب معاش،دراسة تحليلية فنّيّة،معمر حجّيج،رسالة ماجستير،جامعة باتنة،1413هـ،1993،ص 250.

[32] ــ تشريح النص،د/عبد الله محمد الغذّامي،دار الطليعة،بيروت،ط1 ،1987،ص 19.

[33] ــ ينظر:الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1997،1 ، ص 98 .

[34] ــ ينظر:العمل الفني اللغوي، فولغانغ كايزر،ترجمة وتقديم،أبو العيد دودو،دار الحكمة،الجزائر،ط1، 2000 :192/01 .

[35] ــ ينظر:البحث الأسلوبي،معاصرة وتراث،د/رجاء عيد منشأة المعارف،الإسكندرية،مصر،ط1، 1993 ص 157 .

[36]ــ ينظر:نظرية اللغة الأدبية،خوسي مايا بوتويلو إيفانوكس،ترجمة د.حامد أبو حمد، دار غريب للطباعة (دط) 1987،ص57.

[37] ــ ينظر:الأسلوبية ونظرية النص،د.إبراهيم خليل ،ص 96 .

[38] ــ ينظر:شعرية التفاوت ، مدخل لقراءة الشعر العباسي،د.محمد مصطفى أبو شوارب،دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 2002، ص87-92.

[39] ــ ينظر العمل الفني،مدخل إلى علم الأدب ، 192/01 .

[40] ــ لغة الشعر،طلال سالم الحديثي،مجلة الأقلام العراقية،ج05السنة السادسة،شباط 1970 ،ص 152

[41] ــ ينظر:حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر،د.كمال خير بك،بيروت،ط1986،2،ص 148.

[42] ــ ينظر:سر الفصاحة،ابن سنان الخفاجي (466 ه)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1402 هـ،1982م،ص 286.

[43] ــ ينظر الشعرية الموضوعية والنقد الأدبي،محمد القاسمي
Http://WWW.FIKRWANAKD.ALJABIRABED.com /n22.13 Kassimi .HTM

[44] ــ ينظر:النظرية الشعرية،جون كوهن:234/01-235 .

[45]ــ نظرية البنائية في النقد الأدبي،صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة،1978،ص 316.

[46] ــ الأسلوبية بين النظرية و التّطبيق،منشورات اتّحاد الكتّاب العرب،دمشق،سوريا،2000،ص 26.